البنـــاء
السنة السابعة / الأربعاء / 7 تشرين الأول 2015 / العدد 1901
Seventh year / Wednesday / 7 October 2015 / Issue No. 1901

انتفاضة فلسطينية ثالثة هل تنجح ؟

■ حميدي العبدالله

لا شك في أنّ جميع الظروف العامة والأساسية التي أدّت إلى اندلاع الانتفاضتين الفلسطينيتين الأولى والثانية تتوفر الآن.

الانتفاضة الأولى كانت أسبابها المباشرة إدارة القمة العربية، التي عُقدت في العاصمة الأردنية عمّان، ظهرها للقضية الفلسطينية إضافةً إلى ممارسات الاحتلال التعسّفية. واليوم هناك ظروف مشابهة، فالعرب أداروا ظهرهم للقضية الفلسطينية على نحو أوسع مما حدث قبيْل الانتفاضة الأولى العام 1987، وتعسّف الاحتلال لم يتغيّر.

انتفاضة العام 2000 التي عُرفت بانتفاضة الأقصى سببها فشل محادثات التسوية بين السلطة والكيان الصهيوني، وممارسات الاحتلال التعسّفية وفي رأسها تدنيس شارون للمسجد الأقصى.

اليوم، التسوية متوقفة، بل وصلت إلى طريق مسدود، وممارسات الاحتلال لا تزال على أشدّها في التنكيل بالفلسطينيين، سواء من خلال الحصار على غزة أو ممارسات أعمال القتل والاغتيال في الضفة الغربية، إضافةً إلى تهويد المزيد من الأراضي.

بناءً على ذلك يُفترض أن تندلع انتفاضة فلسطينية ثالثة، ولكن حتى الآن لم يحدث ذلك، أو على الأقلّ إنّ ثمة انتفاضة جزئية ومتقطعة، جزئية كونها محصورة بالضفة الغربية، ومتقطعة كونها لا تحصل بصورة دائمة، واستمرّت هذه الحال أكثر من أربع سنوات، وهذا يوحي وكأنّ من ينتظر انتفاضة ثالثة تشبه الانتفاضتين السابقتين ينتظر سراباً.

لا شك في أنّ لهذا الواقع الجديد ظروفاً وأوضاعاً تفسّره وتوضح لماذا لم تقع الانتفاضة الثالثة، أو على الأقّل لماذا أصبحت الانتفاضة الثالثة مجرّد انتفاضات جزئية متقطعة تمثّل رداً موضوعياً على تعسّف غير محتمل من قوات الاحتلال. من أبرز هذه الظروف انحسار الاحتلال عن غزة، فالانتفاضتان الأولى والثانية، كانتا عندما كان العدو الصهيوني يسيطر على القطاع، إذاً لم تكن الانتفاضة بما تتضمّنه من مواجهات محصورة بالضفة الغربية.

إنّ انحسار الاحتلال عن قطاع غزة كان له دور كبير في تحديد مستوى وحجم وقوة أيّ انتفاضة جديدة. إضافةً إلى ذلك في الانتفاضتين الأولى والثانية كانت هناك قوة مقاومة جديدة أكثر حيوية واندفاعاً في الأولى حركة الجهاد الإسلامي التي ولدت لتوّها، وفي الثانية «الجهاد» و«حركة حماس». اليوم جميع قوى المقاومة تبحث عن التهدئة مع الاحتلال بذرائع شتى، إضافةً إلى استمرار التنسيق الأمني بين السلطة الفلسطينية وقوات الاحتلال، وكلا الطرفين لديه تبريراته، «حماس» و «الجهاد» وفي غزة تبرّران التهدئة بذريعة توفير الأمان والهدوء لسكان القطاع الذين عانوا الكثير من الاحتلال ومن الاعتداءات «الإسرائيلية»، والسلطة تبرّر التعاون الأمني بذريعة توفير الخدمات للفلسطينيين وحقن دماء الشباب من مواجهات واحتكاكات مع عدو غاشم لا يتورّع عن استخدام الرصاص الحيّ.

ولكن في النتيجة فإنّ إرادة المواجهة مفقودة، سواء عبر غزة أو عبر الضفة الغربية، وبالتالي فإنّ التحركات باتت محصورة في شرائح من الفلسطينيين الذين لم يعد بوسعهم تحمّل عسف الاحتلال.

روسيا استعدّت لكلّ الاحتمالات واستخبارات «النصرة» تتحدّى

بدخول روسيا الى العمليات العسكرية في سورية تفتتح المنطقة مرحلة جديدة لمشهد ساد طيلة ما يقارب السنوات الخمس. فمع الوعد الروسي بما يشبه تحدياً لفشل الحلف الأطلسي والتحالف الدولي وكلّ ما يمتّ إلى سياستهما بصلة بالتقدّم نحو القضاء على الإرهاب، ومع حصر الاستخبارات الأميركية العمليات بين عشر سنوات و30 سنة، كما قال رئيسها السابق ليون بانيتا، تكون روسيا قد قلبت الطاولة بالمدّة الزمنية القصيرة جداً، والتي تمتدّ لأشهر لإحداث نتيجة واضحة في القضاء على معظم البؤر الإرهابية في سورية، وبالتالي عليها أن تستعدّ وتتوقع كلّ ما قد يصدر عن هذه الأطراف لأسباب ومعطيات عدة:

أولاً: تضع روسيا الدول الكبرى أمام إخفاق كبير في أجهزتها الأمنية الوطنية وتقديراتها التي توجّهت نحو استحالة القضاء على الإرهاب بهذه السرعة، وبالتالي فإنّ أيّ نجاح روسي هو خلل في مكان ما وقع في أجهزة تلك الدول، أو هو وهم يُباع لشعوبها من أجل تمرير خطط وتصفية حسابات داخلية وخارجية. وعلى هذه الحال فإنّ أحلاهما مرارة بحجم إخفاق أمني خطير.

ثانياً: على روسيا أن تتوقع موجة جديدة من الاعتداءات عليها وعلى مصالحها في كلّ العالم، وعلى ما يبدو فهي قد استعدّت لكلّ هذا قبل الشروع في إرسال قواتها إلى سورية، وبالتالي فإنّ روسيا ترسل رسالة لمن سيحاول بذل جهود ردعها عن الخطوة أنها مستعدّة للتضحية ودفع ضريبة معينة تعرف أنها مقبلة، لكنها تعرف أنّ الدافع إلى ذلك استراتيجي يضمن أمنها القومي وأمن شعبها ومصالحها مستقبلاً، بالمقارنة مع ما يمكن أن يسبّبه تفشي الإرهاب فيها والوقوف متفرّجة، وها هي تُستهدف بسفارتها في أفغانستان بتفجير إرهابي كأولى الرسائل...

التحدي الروسي المقلق والذي لم يعد تقارير مسرّبة، بل أصبح واقعاً عسكرياً عالي المستوى والخبرات، يشكل بالنسبة إلى الدول الداعمة للجماعات الإرهابية المسلحة أخطر تحديات القرن، فدول المنطقة لم تعتد على أيّ عمل عسكري منذ عقود ولم تعتد على أيّ دخول أجنبي إليها، وبالتالي فإنّ هذا الدخول الروسي المؤكد اليوم قد لا يكون خروجاً مؤكداً وسريعاً غداً، وربما يصبح وجوداً نافذاً وممتداً ومؤثراً على كلّ الدول المجاورة لسورية، ليصل إلى أكثرها تضرّراً في هذا الإطار، وهي تركيا والكيان «الإسرائيلي» ومعهما دول الخليج المموِّلة سياسات الإرهاب والتي سعت للاستفادة من نجاحها بفارغ الصبر واستثمارها نفوذاً جدياً.

يظهر تحدّي الاستخبارات الإقليمية جلياً على ما أعلنته «جبهة النصرة» من عرض لافت يجب أن يؤخذ بعين من الجدية الكبرى فقد حدّدت مكافأة 21 مليون دولار، حسب شبكة bbc البريطانية لكلّ من يستطيع أسر جنديّ روسيّ، وبالتالي فإنّ الجماعات المسلحة تعتقد أنها بلجوئها إلى هذا التهديد قد تردع الروس، وفي هذا رسالة من المموّلين مفادها أنهم ما زالوا مستعدّين للمواجهة بأيّ ثمن، وتؤكد بطبيعة الحال أنّ جبهة النصرة هي الجهة الأكثر خطورة وامتداداً سياسياً والتي يجب قتالها لتحقيق انتصار جدي يقلب الطاولة على الأرض السورية وينهي طموحات مموّلي الإرهاب وداعميه بين خليجيين وأتراك نهائياً...

روسيا تتحدّى، لكنها أعلنت استعدادها لكلّ الاحتمالات لا بل للتضحيات...

«توب نيوز»

حرب تشرين مفتوحة

–منذ خوض الجيش العربي السوري مع الجيش المصري أول حرب عربية على «إسرائيل» وظهور النصر في أيام الحرب الأولى صارت سورية في عين العاصفة.

–أسقط انتصار تشرين بداية بوقف الحرب بلا تنسيق باتفاق مصري – «إسرائيلي» كان الأميركيون والسعوديون والسادات وراءه لقطع ظهر الجيش السوري وإجباره على قبول التوقف.

–واصلت سورية حربها وفرضت معادلة استرداد القنيطرة فأكملت المؤامرة على تشرين وسورية وولد «كامب ديفيد».

–صمدت سورية فجاء اجتياح لبنان وتحريك «الإخوان المسلمين» لضرب سورية من الداخل.

–انتصرت سورية على نتائج الاجتياح للبنان وسقط اتفاق 17 أيار وولدت المقاومة وحققت بدعم سورية نصرَيْها في العامين 2000 و2006

–انتصرت سورية على «الإخوان» وما توقف التآمر حتى جاءت الحرب التي تشكل اليوم آخر حروب المنطقة، وربما آخر حروب العالم.

–صمدت سورية في وجه أكثر من مئة دولة ومئة فتوى ومئة فضائية ومئة مليار دولار.

–بدأت سورية وحلفاؤها هجومهم المعاكس.

–ستختتم سورية آخر فصول حرب تشرين...

–ألف تحية لضباط وجنود جيش تشرين ولأسد الحرب لأولى ولأسد الحرب الثانية...

التعليق السياسي

خطاب أبو مازن... العبرة في الترجمات

■ رامز مصطفى

مع انتهاء رئيس السلطة الفلسطينية السيد محمود عباس من الكلمة التي ألقاها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وضع نهاية لكلّ التأويلات والتكهّنات والتفسيرات والتحليلات، وحتى التصويرات المتصلة بالإثارة حول ما قيل على أنّ الخطاب عبارة عن مفاجآت وقنابل سيفجرها أبو مازن في الجمعية العامة في الثلاثين من أيلول الماضي. ولكن هذه النهاية فتحت باباً آخر من المواقف والتحليلات والقراءات حول خطاب أبو مازن وما تضمّنه واحتواه من مواقف، تراوحت بين المرحّبة والمشككة والمترقّبة والداعية إلى إقران الأقوال بالأفعال، وصولاً إلى المشكّكة في قدرة رئيس السلطة على السير بمواقفه نحو الترجمة العملية في تنفيذ قرارات المجلس المركزي لمنظمة التحرير، وهو الذي أكد عليها في سياق خطابه.

من المؤكد أنّ خطاب أبو مازن أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السبعين لهذا العام، شكل نقلة قياساً إلى خطاباته السابقة، فهو مزج بين الديبلوماسية التي انطوت على التهديد المُهذّب، وتحميله المسؤوليات للمجتمع الدولي، وعرضه الصور الإنسانية من خلال إجادته العزف عاطفياً على وتر ما يُعانيه الشعب الفلسطيني على مدار عقود من الإجرام «الإسرائيلي»، وكأنه يقول لمستمعيه وفي مقدّمتهم الأميركيين إنّ كلّ ما قدّمته ومنظمة التحرير الفلسطينية من تنازلات خطيرة في اتفاقات «أوسلو» عام 1993 التي مضى عليها 22 عاماً، لم تشفع للفلسطينيين أن ينعموا بما أسماه أبو مازن بالسلام، وهو الذي يُدرك من دون أن يعترف أن لا مكان للذين يستجدون من الآخرين حقوقهم منّة وصدقة.

وفي التوقف عند ما جاء في خطاب أبو مازن الذي يستأهل قراءته بتمعّن وتأنّ بغضّ النظر عن خلفية المواقف إزاءه. قبل كلّ شيء لأننا معنيون كفلسطينيين جميعاً بما جاء في الخطاب وعناوينه ومفرداته والمواقف المتخذة على تناقضها، وإلاّ ما معنى أن ينشغل الجميع بالتكهّن والتأويل قبل الخطاب، والقراءة والتحليل بعده.

بداية أسجل ملاحظتين... الأولى أنّ الكثيرين قد بادروا إلى إصدار مواقفهم قبل أن يعطوا أنفسهم الوقت في قراءة الخطاب ليُبنى على الشيء مقتضاه، حتى أنه وفي الفصيل أو التنظيم الواحد برز التناقض بين من وجد أنّ الخطاب لم يرتق إلى مستوى تطلّعات الشعب الفلسطيني، وبين من وجد فيه أنه متقدّم، ومن الممكن البناء عليه. والثانية أنّ نبرة النقد والاعتراض يجب ألاّ يُفهم منها أو يبدو على أنه تقاطع مع المواقف «الإسرائيلية»، وهي بالتأكيد ليست كذلك على الإطلاق.

وقراءتنا لخطاب رئيس السلطة السيد محمود عباس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبالتالي ما كان متوجب عليه قبل الخطاب وبعده، يتلخص بالآتي:

– ذهب أبو مازن إلى نيويورك يحمل خطاباً باسم الشعب الفلسطيني وقواه السياسية – (وهذا لا يعني أنّ هذه القوى أو بعضها قد خوّله التحدث باسمها) والساحة الفلسطينية يطبعها الانقسام الحادّ، وحتى فصائل منظمة التحرير منقسمة على نفسها على خلفية التفرّد بالقرار الفلسطيني وحصره في شخص رئيس المنظمة والسلطة أبو مازن، والدائرة الضيّقة المحيطة به. ولعلّ ضرب قرارات المجلس المركزي لمنظمة التحرير في دورة اجتماعاته في آذار الماضي من قبل أبو مازن يمثل حالة الاستئثار التي ينتهجها في تعاطيه مع شركائه في المنظمة، وهم لا يخفون انتقاداتهم واعتراضاتهم على ذلك. وبالتالي فالخطاب الذي ألقاه أبو مازن غابت عن صياغته أو أقله الإطلاع عليه من قبل اللجنة التنفيذية للمنظمة.

– من الواضح أنّ الخطاب قد أُطلعت عليه العديد من الدول، أو أقله اطلعت على فحواه، وهي أبدت رأيها ومارست ضغوطها في محاولة من أجل إفراغه من مضامينه. وهذا ما نشرته العديد من وسائل الإعلام وأكده عضو اللجنة المركزية لحركة فتح الأخ عباس زكي، عن أنّ وزير الخارجية الأميركي جون كيري قد نجح في دفع أبو مازن لسحب قراره بحلّ السلطة، والتخفيف من لهجة الخطاب الحادّة، وإعطاء فرصة للعمل حتى نهاية العام الحالي 2015.

– في نص الخطاب، هناك نقلة، ولكن للأسف أبو مازن جعل الباب مفتوحاً ولو مواربة، فلا هو حسم أمره في إلغاء اتفاقات «أوسلو» ومترتباتها، بل أبقى الأمر رهينة التزام الجانب «الإسرائيلي». ولا هو أوقف التنسيق الأمني، رغم ذكره قرارات المجلس المركزي الذي نص صراحة على وقف التنسيق الأمني. وحتى طلب الحماية الدولية أو حلّ السلطة كان فيه من الإبهام ما ترك الباب مفتوحاً على احتمالات التأويل والتفسير كلّ من خلفية مواقفه وقراءته الخاصة. وما ذهب إليه محمود الهباش أحد مستشاري أبو مازن الموثقين، وقاضي قضاته، حين قال: «كلام الرئيس أبو مازن لا يعني إلغاء اتفاقات أوسلو، أو حل السلطة، بل المقصود من الكلام التبادلية، بمعنى إذا التزمت إسرائيل سنلتزم»، وعن التنسيق الأمني أكد «أن لا وقف للتنسيق الأمني».

– في التطرق إلى الانضمام المنظمات والمعاهدات الدولية بما فيها الجنايات الدولية، قال أبو مازن: «نحن لا نريد أن يُفهم منها على أنها موجهة ضدّ أحد، بل أردنا حفظ حقنا وحق شعبنا». حفظ حقنا ممّن، أليست «إسرائيل» هي من تسلبنا تلك الحقوق، وتعمل على طحن شعبنا بجرائمها ومجازرها، وعائلة الدوابشة ومحمد أبو خضير ومحمد الدره، والآلاف من أبناء شعبنا قضوا على يد الجيش «الإسرائيلي». لماذا الحديث بتلك اللغة التطمينية؟

– إنّ الانفتاح على كلّ المبادرات السياسية الخاصة بالمفاوضات واستئنافها بما فيها المبادرة الفرنسية السيئة المضامين لجهة مطالبتها الفلسطينيين الاعتراف بيهودية الدولة، وبالتالي شطب حق العودة عن طريق التعويض على اللاجئين. إنما يكشف أنّ الخيارات السياسية لدى رئيس السلطة في التمسك بالمفاوضات لا تزال على حالها.

– في المقابل نجح أبو مازن في نقل المعاناة وما تعرّض ويتعرّض له الشعب الفلسطيني على يد قوات الاحتلال الصهيوني. وبالتالي حمّل المجتمع الدولي مسؤولية إرغام «إسرائيل» على الالتزام بمقتضيات الاتفاقات الموقعة معها. وهو أراد دفع هذا المجتمع في جعل الموضوع الفلسطيني في سلّم أولوياته، بعد أن عملت الأحداث والتطورات التي تشهدها المنطقة والعديد من الدول العربية، في حجب الرؤية عما يمارسه العدو الصهيوني من اعتداءات على قطاع غزة والضفة الغربية والقدس والمسجد الأقصى.

وعلى اختلاف القراءات، الخطاب قد أصبح نافذاً، أقله في جانبيه الديبلوماسي والإعلامي، المطلوب الآن أن يبادر رئيس السلطة إلى السير في اتخاذ الخطوات اللازمة من أجل وضع الآليات لترجمة ما تضمّنه الخطاب، من خلال وضع جدول زمني لهذه الترجمة. خصوصاً أنّ التطورات المتسارعة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والنوايا «الإسرائيلية» في تصعيد الموقف في القدس والضفة، بعد عملية نابلس الناجحة، وطعن مستوطنين على يد الشهيد مهنّد حلبي في مدينة القدس، وإطلاق النار على الفتى علون، تفترض تقديم الهمّ الوطني العام في مواجهة التحديات، على ما سواه من قضايا. وهذه الخطوات تتمحور في:

– دعوة الإطار القيادي الموقت إلى الاجتماع فوراً، كونه الجهة المخوّلة وفق اتفاق القاهرة في آذار 2005 لقيادة العمل الوطني الفلسطيني، إلى حين إعادة ترتيب أوضاع منظمة التحرير ومؤسساتها تطويراً وتفعيلاً.

– تفعيل اتفاق المصالحة الوطنية الموقع في أيار 2011 في القاهرة. وبالتالي وضع نصوص الاتفاق قيد التنفيذ والتطبيق، بما فيها إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية، وانتخابات المجلس الوطني الفلسطيني.

– تفعيل قرارات المجلس المركزي الأخير، والمطالبة بوقف التنسيق الأمني مع الاحتلال.

– تفعيل وتسريع الخطوات باتجاه محكمة الجنايات الدولية، لمقاضاة الكيان وقادته على جرائمهم المرتكبة بحق شعبنا.

– تفعيل الإعلان عن انتهاء العمل باتفاقات «أوسلو» الكارثية، وإعلان الدولة الفلسطينية تحت الاحتلال، وإطلاق الانتفاضة الثالثة، وتشكيل قيادة وطنية موحدة تقود فعالياتها في مواجهة الاحتلال وقطعان المستوطنين الذين يعيثون خراباً وحرقاً واعتداءات بحق أبناء شعبنا، بحماية قوات الاحتلال الصهيوني التي تتهيأ لعملية واسعة حسب ما صرّح به نتنياهو وكبار جنرالاته.

وأختم السطور الأخيرة من المقالة، كان الفتى المقدسي مهنّد حلبي يستلّ سكينه ليبدأ طعن أعدائه وأعداء شعبه، فيصرع نصل سكينه الفلسطيني مستوطنيْن اثنين، أحدهما حاخام في الجيش «الإسرائيلي»، لم يسعفه جبنه أن يستخدم مسدسه، ليقع في يد المقاوم مهنّد حلبي، فيكمل عمليته، ويسقط شهيداً معلناً بدمائه اندلاع الانتفاضة الثالثة، إذا أحسن رئيس السلطة التقاط الفرصة ليقلب الطاولة في وجه نتنياهو ومن خلفه الإدارة الأميركية، التي تجاهل رئيسها أوباما الموضوع الفلسطيني في كلمته أمام الجمعية العامة. وإذا ما أحسنت أيضاً الأجهزة الأمنية التصرف مع المتظاهرين المنتفضين، ولم تقدم على تكسير عظامهم في شوارع ومدن الضفة الغربية.

هل هي الخطوة الأولى للقضاء على الإرهاب أم...؟

■ محمد ح. الحاج

أيام قليلة فقط منذ بدء الحملة الجوية الروسية على الإرهاب في سورية، والنتائج... باعتراف المراقبين والخبراء أنها إنجاز أدّى إلى تدمير المقارّ الرئيسة لداعش والنصرة ومتفرّعاتهما في المناطق التي تمّ استهدافها بشكل كامل، وتتضمّن مخازن الذخيرة ومراكز التدريب والسيطرة كما أدّى القصف إلى قطع طرقها ومنع تواصلها واتصالاتها، وبغض النظر عن البيانات العسكرية فإنّ بالإمكان الحصول على معلومات عبر المدنيّين الذين تسرّبوا من أماكن تواجد العصابات المسلحة تفيد بحالة من الذعر والتشتّت وبداية الهروب الكبير نحو الشمال، عائدين من حيث أتوا، بالأحرى من سيبقى منهم على قيد الحياة...

تأخذ العمليات الروسية منحى جدياً مختلفاً جذرياً عن عمليات التحالف الغربي الهزلية والتي مضى على بدايتها أكثر من عام، وجاءت نتائجها تمدّد داعش وزيادة قدراتها بما حصلت عليه من سلاح وذخائر عبر لعبة استخبارية أميركية في الموصل، الأنبار والرقة، والتدخل التركي في الشمال السوري عبر القصف المدفعي وفتح الأبواب أمام القادمين من كلّ أنحاء العالم.

بعد ضرب معسكرات ومواقع داعش في الرقة بدأت تتوارد الأنباء تباعاً عن الفوضى التي دبّت في صفوف مقاتليها وقيادتها وبدأت حركة نزوح المستوطنين (أقول المستوطنين لأنهم كذلك، فالعناصر الشيشانية والتركمانستانية وحتى الصينية ومن جنسيات أخرى مختلفة جلبوا معهم عائلاتهم وأقاموا في منازل المواطنين الذين هجروا المدينة خوفاً من بطش داعش أو لأنهم موظفين في الدولة، وقد أفتى قضاة داعش باستباحة منازل هؤلاء ومصادرة ممتلكاتهم وتوزيعها على الأتباع، وبعضهم أقاموا تجمّعات ومزارع في المنطقة) وقد تمّ تطبيق نفس السلوك في تدمر بعد اجتياحها وتهجير أهلها، كذلك فعلت النصرة في مناطق تواجدها وربما بدرجة أقلّ، عناصر داعش الغرباء أغلبهم ألقى سلاحه واتجه مع عائلته باتجاه الشمال، وقد تلجأ تركيا إلى إغلاق الحدود لمنعهم من الانسحاب، مئات الغرباء – تمّ تقدير أعداد الدفعة الأولى بنحو 600 مقاتل أصبحوا قرب الحدود الحالية، وربما نجح البعض في التسلل إلى الداخل المحتلّ من الأراضي السورية الشمالية على محور أورفه أو ديار بكر.

القصف السوري الروسي المشترك كان مزلزلاً وصاعقاً وشكل بداية النهاية لوجود داعش في المحافظة، كذلك حدث في محيط تدمر والقريتين ومحيط حمص الشمالي، ما أدّى إلى تدمير مراكز القيادة والسيطرة ومستودعات الذخيرة وأعداد كبيرة من الآليات العسكرية، وأيضاً بدأت حركة الانسحابات وإخلاء المدينتين وتوجه كثيرين على محور السخنة – الرقة للوصول إلى الحدود الشمالية والبحث عن ممرات للخروج لمن يبقى على قيد الحياة فهؤلاء تلاحقهم طائرات الاستطلاع والحوامات وعناصر الجيش والقوى الداعمة له.

منطقة الحولة التي أقامت فيها جبهة النصرة قواعدها ومعسكراتها على مساحة واسعة في الشمال الغربي لمدينة حمص من نقطة سدّ تلدو وحتى بلدة عقرب، وهي بطبيعة الحال على اتصال مع منطقة الرستن شرقاً، تعرّضت أيضاً لقصف شديد، وصادف وجودي في منطقة قريبة من عقرب لحظة إغارة الطائرات، للوهلة الأولى شعرت بارتجاج شديد في الأرض تلت ذلك أصوات الانفجارات وكأنها عاصفة رعدية، تصاعدت سحب الدخان والغبار، ودامت طويلاً انفجارات الذخائر وحرائق المستودعات، المناطق المستهدفة كانت على أطراف بلدتي عقرب وتل ذهب حيث مركز القيادة والمستودعات، إضافة إلى موقع تدريب، وقد تواردت الأنباء بعد ذلك عن تدمير هائل فيها وأعداد كبيرة من القتلى والمصابين، ولأنّ الطائرات لم تستهدف أياً من البلدتين، فقد بادر المسلحون فيهما إلى توجيه قذائفهم إلى قرية صغيرة محاذية (التاعونة) سقط بسببها عدد من الشهداء والجرحى المدنيين قبل أن يبدأ كثير من المسلحين عمليات انسحاب باتجاه الشرق نحو تلبيسة والرستن، ومعروف أنّ أغلب العناصر الإرهابية في المنطقة هم من جنسيات مختلفة أغلبهم تركمان وشيشان وبعض اللبنانيين والتونسيين، وهؤلاء في حال أسوأ ممن هم في المناطق الشرقية والشمالية باعتبار أنّ قطع طرق خروجهم من المنطقة أمر سهل، والمسافات التي يتوجب الانسحاب عبرها (إن تمكنوا) ستكون طويلة وصعبة، الخيار الوحيد أمامهم هو الموت أو الاستسلام خصوصاً إذا نجح الجيش في السيطرة على الطريق الدولي بين حمص وحماه وإغلاق منافذ الرستن وتلبيسة باتجاه الشرق عبر مسالك ضيقة محاذية لمجرى العاصي، إذ لا بدّ لهم من عبور محور حمص – سلمية وهو تحت السيطرة شبه التامة للجيش وقوى الدفاع الوطني.

مؤشران هامان على نجاح وقوة العمليات الروسية – السورية المشتركة، أو لنقل التحالف المشرقي الحديث ضدّ الإرهاب، حيث يقول رئيس تركيا المفجوع أردوغان «إنّ التدخل الروسي خطأ وسيؤدّي إلى عزلة روسيا»، في حين أنه لم يعتبر تدخله خطيئة قاتلة في الشأن الداخلي السوري، ومن المؤكد أنه هو من يشعر بالعزلة الخانقة بعد أن ربح لقب أبو المشاكل رغم شعاره... صفر مشاكل مع الجوار. على أردوغان انتظار الآتي وهو لم ير إلا القليل من تجربة لم تتجاوز الأسبوع.

أما رئيس الوزراء البريطاني دايفيد كاميرون فيرى «أنّ التدخل الروسي في سورية خطأ فادح...!»، وهو الذي لم يقرأ أو يسمع عن فداحة تدخل الغرب في سورية واستهداف الشعب السوري بتدمير مقدراته خدمة لمشروع كبير يخدم الغرب والصهيونية العالمية، وأعتقد أنّ كثيراً من النصائح الروسية تمّ إبلاغها للغرب على مدى سنوات، إضافة إلى مبادرات جدية كانت كفيلة بحلّ الأزمة وتوفير الكثير من المعاناة والدماء والدمار على شعب سورية، كاميرون يرأس دولة تاريخها أسود وسلوكها أكثر سواداً تجاه المنطقة العربية والعالم الثالث، وهي كانت أكثر من ألحق الأذى والضرر بكلّ الكيانات العربية وخصوصاً في سورية بعد زرعها لدولة الكيان الصهيوني وإعطاء ما لا تملك لمن لا يستحق، لو نظر كاميرون إلى تاريخ دولته الأسود لخجل من نفسه وصمت حتى لا يفضح نفسه أكثر، إلا أنه مجرد بوق وأداة صهيو – ماسونية يردّد ما تمليه عليه مصالح تلك المؤسسة الملعونة.

انطلق قطار الشرق ويبدو أنه أسرع مما توقع كثيرون، حتى الأميركان الذين يختزلون شعباً بكامله بشخص الرئيس، وكأنّ هذا الشعب لم يبلغ الرشد وهم الأوصياء عليه، نعم هو رئيس يمثل الشعب حقيقة، ومن يريد إسقاطه فإنما يريد إسقاط شعب بكامله وهذا أمر يرفضه الشعب السوري، الإدارة الأميركية أقلّ جرأة في انتقاد الموقف الروسي، فقط «يخشون» على الروس التورّط في الوحل السوري، الأميركان مصابون بتخمة الوحل في كلّ أنحاء العالم، الخوف ليس على الروس، بل لأنّ لدى الروسي أدلة قاطعة على عمق تورّطهم في وجود داعش وتمويله واستثماره أصالة ووكالة، وأنها أرادت من وراء ذلك زرع الفوضى التي بشرت بها، هي من يدّعي أنّ الحرب على الإرهاب قد تمتدّ عشرات السنوات، وهي من يعمل على إطالتها سواء بتمويل وتغذية المجموعات وادّعاء محاربتها أو دفع المزيد من الأنظمة لرفدها بعناصر المرتزقة.

جدية التحالف الجديد في حربه على الإرهاب أذهلت الأطراف الأخرى، وأفشلت أو دفعت ببوادر فشل مشاريعهم لتطفو على السطح، دول جديدة أخرى تعلن الرغبة في الانضمام إلى التحالف، الصين، كوريا الشمالية وجمهورية الشيشان، وربما أطراف عربية غير العراق، البحر المتوسط يزدحم بالأساطيل، وتتقاطع خطوط الطيران الحربي المختلف الجنسيات والأنواع في السماء السورية، سورية والجوار أشبه بمستودع كبير للمتفجرات أو الوقود وتكفي شرارة واحدة عن طريق صدام جانبي لإشعال حرب كونية، أعتقد أنّ اليهود هم الأكثر رغبة في نشوبها، هل يستحضرون الأسطورة، أين هم من موقعة مجيدو (يسمّونها هرمجيدون)...؟ نتنياهو يعلن أنّ كيانه في حالة حرب على الإرهاب لا هوادة فيها، رئيس وزراء العدو يفتح مشافي كيانه لاستقبال جرحى عصابات داعش والنصرة ويقوم بزيارتهم...! (هؤلاء مجاهدون – أصدقاء) أصحاب الأرض الأصليين... هم «إرهابيون»، الأسطوانة ذاتها المتداولة في الغرب: من معنا مناضل، ومن ضدّنا إرهابي، معادٍ للسامية، في الغرب يسمّونه سفاحاً أو ديكتاتوراً، التسميات بلا ثمن، بلا خسارة، بالإمكان وصف الملائكة بأنهم شياطين... أين هو الحكَم ومن هو المرجع الصالح ليعطي للتسميات شرعيتها...؟

في ستينيات القرن الماضي كادت كوبا أن تكون السبب في نشوب حرب نووية، قبل ذلك وقعت حربان كونيتان لأسباب تبدو تافهة أمام أحداث الزمن الذي نعيش، فهل تكون سورية، الموطن الأول للإنسان السبب الرئيس في نهاية البشرية أم تكون نقطة انطلاق عملية حاسمة للقضاء على الإرهاب في العالم بعد استفحاله بدعم من قوى الغرب الشريرة والمارقة...؟

القيصر الروسي يهدم امبراطورية الإرهاب العالمية

■ غسان يوسف

ما ان بدأت روسيا بتنفيذ غاراتها الجوية في سورية ضدّ التنظيمات الإرهابية وعلى رأسها «داعش» حتى علا الصراخ من العالم الغربي وفي مقدّمته الولايات المتحدة التي كانت تبشرنا بأنّ القضاء على «داعش» يتطلب أكثر من عشر سنوات، وأنّ محاربة «داعش» تحتاج إلى تدريب «معارضة معتدلة» لتحارب هذا التنظيم المتشدّد، وأن عدد الطلعات الجوية تجاوز السبعة آلاف طلعة لكنه لم يقدر حتى الآن على وقف تمدّد «داعش»!

الولايات المتحدة التي عملت على تشكيل تحالف من ستين دولة فعجزت هي والستين (كومبارس) عن محاربة «داعش»، لا بل عملت على التوقف عن الحديث عن «جبهة النصرة» (فرع «القاعدة» في بلاد الشام) وبدأت صحفها (المحترمة) تنشر مقالات وآراء عن اعتدال «النصرة» وإمكانية التعاون معها، ومع حركة «أحرار الشام» التي ينتمي أغلب قادتها إلى تنظيم «القاعدة» في أفغانستان حيث تدرّبوا وقاتلوا هناك لفترات طويلة، حتى أنها تعتبر ما يُسمّى «جيش الفتح» معارضة معتدلة وهو الذي يضمّ «جبهة النصرة» و«أحرار الشام» ومقاتلين أجانب من الشيشان وخليطاً من دول آسيا الوسطى والصين كالحزب الإسلامي التركستاني، وبحسب التقديرات فإنّ هذا الأخير يضمّ أكثر 3500 مقاتل حاربوا الجيش السوري في جسر الشغور وإدلب ومثلهم الشيشانيون الذين دخلوا إلى كسب وقرى اللاذقية.

خوف الولايات المتحدة وأصدقائها يتركز في أن يتمكن القيصر الروسي من ضرب هذه المجاميع الإرهابية بعد أن أنفقوا عليها مليارات الدولارات تسليحاً وتمويلاً، وهو ما اعترف به الرئيس الأميركي باراك أوباما من أنّ بلاده أنفقت الكثير من المال لتدريب ما سمّاها «معارضة معتدلة»، والأمر في الحقيقة هو تدريب إرهابيّين محترفين يقطعون الرؤوس ويبقرون البطون، فهل ما فعله «أنصار الشام» و«الجبهة الإسلامية» و«جبهة النصرة» في كسب وقرى اللاذقية الشمالية، وما فعله «جيش الإسلام» في مساكن عدرا العمالية لا يقلّ خطورة عما فعلته «داعش» في جميع المناطق التي دخلتها لتذهب كلها وتلتحق بـ«النصرة»، ومثل هذا الأمر حدث أيضاً مع ما كانت تسمّى «حركة حزم» وما سُمي «جبهة ثوار سورية» بقيادة جمال معروف، لكن الذي لم يقله أوباما إنّ الولايات المتحدة ومن خلفها تركيا وفرنسا والسعودية وبريطانيا وقطر هي من درّبت «داعش» و«النصرة» و«جيش الفتح» و«الحزب الإسلامي التركستاني»، واعتراف أردوغان بأنّ تركيا تدرّب الآلاف وهو في طريقه للقاء هولاند هو خير دليل على الكلام الآنف.

نعم من حق الولايات المتحدة أن تخشى على من درّبتهم ومن حقها أن تخشى على «النصرة» (فرع تنظيم «القاعدة» في بلاد الشام) ومن حقها أن تخاف وتخشى على كلّ إرهابيّ درّبته وسلّحته وأرسلته لقتال الجيش السوري وتفتيت سورية وتمزيقها.

ولعلّ ما أعلنته هيئة الأركان العامة الروسية السبت الماضي من أنّ الاستخبارات تسجل مغادرة المسلحين للمناطق التي كانوا يسيطرون عليها، وأكدت أنّ الذعر بدأ يدبّ في صفوفهم، حيث أخلى حوالى 600 فرد من المرتزقة مواقعهم قاصدين أوروبا، خوفاً من الضربات الروسية، ولعلّ ترك الطيران الروسي بعض الإرهابيين يهربون إلى تركيا خير اختبار للسلطان المتغطرس الذي حشر أنفه في الوحل السوري وأجّج الصراع ليحقق طموحاته العثمانية.

اليوم تنهار منظومة الإرهاب بفضل تعاون الأسد السوري والقيصر الروسي... تعاون اجتمع على حق الشعوب في تقرير المصير ومحاربة الإرهاب العابر للقارات، فالقيصر يعرف أنّ عدم محاربة الشيشان الذين وصل عددهم إلى ما يفوق الـ 2500 إرهابي أمر أصبح لازماً حتى لا يحاربهم في روسيا، وانتظروا ضربات الطائرات الصينية التي تعرف أنّ النظام التركي يستقدم الايغور ويدرّبهم ويسلّحهم ليعيدهم إلى الصين لتنفيذ غاياته الإرهابية، والحزب الإسلامي التركستاني خير دليل على ما نقول.

نعم لقد كشف الرئيس بوتين نفاق قادة الغرب أمام شعوبهم أولاً وأمام المواطن العربي البسيط ثانياً الذي كاد يظنّ أن «داعش» قضاء وقدر!!

ومن قرأ أو سمع البيان المشترك الذي أصدرته كلّ من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وقطر والسعودية وتركيا والولايات المتحدة في أنقرة، وتصريحات قادة هذه الدول المتناقضة يتأكد من الهستيريا التي تعيشها هذه الدول على وقع الضربات الروسية للإرهاب في سورية.

لكن العالم سيبقى بانتظار ردّ فعل الحمار الأميركي على ما قام به الدبّ الروسي لنصرة الأسد السوري!